نصيحة المشاور وتعزية المجاور لابن فرحون (ت٧٦٩هـ/١٣٦٨م) مصدراً للحياة الاقتصادية في المدينة النبوية خلال العصر المملوكي الأول

(٦٨٤-٧٨٤هـ/١٢٥٠-١٣٨٢م (*)

مركز البحوث
والدراسات التاريخية

د. بدرية بنت عبدالعزيز البصيري
أستاذ التاريخ الإسلامي المشارك
جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن
المملكة العربية السعودية

ملخص البحث

حظيت المدينة المنورة باهتمام كبير من جانب المؤرخين، فكشفوا كثيرًا من أوجه الحياة فيها، الاجتماعية والعلمية والاقتصادية والسياسية، فاهتمّوا بتدوين كلّ ما يتعلّق بالمدينة، وسجّلوه من خلال رؤيتهم الشخصية ومعاينتهم لأهلها، في كل عصر من العصور التي مرّت بها مدينة الرسول ﷺ ،وهذا البحث يلقي الضوء على فترة من العصر الأول لدولة المماليك التي خلفت الدولة الأيوبية في مصر عام ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م، واستمرت إلى عام ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م ، للتعرف على الحياة الاقتصادية في المدينة النبوية من خلال ما أورده المؤرخ ابن فرحون في كتابه (نصيحة المشاوروتعزية المجاور) ويعرف باسم (تاريخ

(*) مجلة "وقائع تاريخية" عدد (٣٤) يناير ٢٠٢١، الجزء الأول.

المدينة)، ومن خلال طرح ابن فرحون يمكن استخلاص ملامح الحياة الاقتصادية في المدينة النبوية وذلك فيما يتعلق بالتجارة والزراعة والثروة الحيوانية والمهن والحرف والأملاك الخاصة والعملات المتداولة وغلاء الأسعار وأخيراً الأوقاف وأثرها على الحياة الاقتصاية ، إضافة إلى ما أطلعنا عليه ابن فرحون في كتابه من معلومات اقتصادية ارتبطت بالمجاورين في المدينة النبوية وتعايشهم مع أهلها ومشاركتهم في هذا الجانب .

Abstract

Al-Medina received a great interest from historians, they discovered social, scientific, economic and political aspects of life in it, so they took care of writing everything related to Medina, and recorded it through their personal visions and their examination of its people, in every era that the city of the prophet went through. this research sheds light on a period from the first era of the Mamluk state that succeeded the Ayyubid state in Egypt in 648 AH / 1250 CE and continued until 923 AH / 1517 CE, in order to learn about the economic life in the Prophet's city through what was mentioned by the historian Ibn Farun in his book (Nasehat Al-Mashawar and Ta'iziyah Al-Mujawr) and knows In the name of (the history of the city), and through Ibn Farhoun’s narration, the features of economic life in the Prophet’s city can be extracted in relation to trade, agriculture, livestock, professions and crafts, private property, currency in circulation, high prices and finally Al-Awqaf and their impact on economic life, in addition to what Ibn Farhoun told us in his book From economic information related to the neighbors in the city of the Prophet and their coexistence with its people and their participation in this aspect.

المقدمـــة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، أما بعد:

فقد حظيت المدينة المنورة منذ صدر الإسلام بنصيب كبير من الاهتمام والتدوين، فهي طيبة الطيبة التي هاجر إليها خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وأقام بها دولة الإسلام التي غيّرت مجرى التاريخ. وحظيت المدينة المنورة باهتمام كبير من جانب المؤرخين، فكشفوا كثيرًا من أوجه الحياة فيها، الاجتماعية والعلمية والاقتصادية والسياسية، فاهتمّوا بتدوين كلّ ما يتعلّق بالمدينة، وسجّلوه من خلال رؤيتهم الشخصية ومعاينتهم لأهلها، في كل عصر من العصور التي مرّت بها مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم(١).

وفي هذا البحث نلقي الضوء على فترة من العصر الأول لدولة المماليك التي خلفت الدولة الأيوبية في مصر عام ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م، واستمرت إلى عام ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م . وقد رصد عدد من المؤرخين والرحالة أحداث هذا العصر، ومن أبرزهم، الذين كان لهم اهتمام بهذا الجانب، المؤرخ الإمام الفقيه أبو محمد عبدالله بن محمد بن فرحون المالكي (٦٩٣- ٧٦٩هـ/ ١٢٩٤- ١٣٦٨م)(٢)، وكتابه (نصيحة المشاور وتعزية المجاور)، ويعرَف باسم (تاريخ المدينة المنورة)(٣).

انتقل الثقل السياسي من المدينة المنورة ومن الحجاز عامة إلى الكوفة، ثم الشام، ثم بغداد، وبعدها إلى مصر، فغلب على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم الهدوء، فلم تعد عاصمة الدولة، ولكنها مع ذلك بقيت مدينة عامرة بالعلم وبزوار المسجد الشريف، ويمارس فيها أهلها أنشطة تجارية وزراعية

وغيرها. ولعلنا هنا نلقي الضوء على الحياة الاقتصادية في المدينة النبوية، من خلال ما أورده المؤرخ ابن فرحون، فشمل كتابه جوانب الحياة المختلفة في المدينة، إضافة إلى تراجم للشخصيات في تلك الفترة. ومن خلال ما طرحه ابن فرحون يمكن استخلاص ملامح الحياة الاقتصادية في المدينة النبوية، وسنتناولها في هذا البحث وفق التقسيم التالي:

أولًا: ابن فرحون ومكانته وكتابه (نصيحة المشاور و تعزية المجاور).

ثانيًا: أهم ملامح الحياة الاقتصادية .

١-التجارة.

٢- الزراعة .

٣- الثروة الحيوانية.

٤- المهن والحرف.

٥- الأملاك الخاصة.

٦- العملات المتداولة والمكاييل.

٧- غلاء الأسعار.

٨- الأوقاف وأثرها في الحياة الاقتصادية.

أولًا: ابن فرحون ومكانته وكتابه (نصيحة المشاور وتعزية المجاور):

١-حياته ومكانته:

هو عبدالله بن محمد بن أبي الفضل بن أبي القاسم بن محمد بن فرحون اليعمري، التونسي الأصل. ولد بالمدينة المنورة سنة ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م، ونشأ في أسرة علمية يرجع نسبها إلى يعمر بن مالك بن هيثم، من ربيعة بن نزار بن معدّ بن عدنان[٤]، وكانت عائلة ابن فرحون تقيم في إيان إحدى قرى الأندلس[٥]، ثم انتقلت إلى مدينة تونس، حيث ولد ونشأ والد المؤلف أبو عبدالله

محمد بن أبي الفضل بن فرحون. وخلال النصف الثاني من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي غادر والد المؤلف تونس إلى الحجاز لأداء فريضة الحجّ[٦]، وجاور بعد ذلك بالمدينة، وتزوّج سنة ٦٩٢هـ/ ١٢٩٢م، واشتهر بعلمه وفضله[٧]. وأنجب عبدالله، ونشأ وتربى على خطى والده بالمدينة المنورة، وتلقّى علوم القرآن والحديث والفقه والتفسير واللغة على أيدي شيوخ بارزين[٨]، ويُصنَّف ابن فرحون ضمن الأئمة الأعلام في زمنه، ومن خيرة علماء عصره. قال عنه ابن مخلوف[٩]: "الإمام العالم، العامل، المتفنّن في العلوم، الشيخ الفاضل، القدوة، المحدّث، المفسّر، الكامل، كان أحد أئمة الإسلام مصابيح الظلام". وقد عمل ابن فرحون بالتدريس والقضاء بالمدينة لمدة أربع وعشرين سنة، وتصدّى لقضاة الشيعة الإمامية، وفي سنة ٧٦٩هـ/ ١٣٦٣م استقلّ ابن فرحون بقضاء المالكية حتى وفاته[١٠]. وكان أعظم أهل المدينة يسارًا، وأكثرهم عقارًا، وأوسعهم جاهًا، وأنفذهم كلمةً، وأعظمهم حرمةً، وأحسنهم بشاشةً، صبورًا على الأذى، يجزي بالحسنة السيئة، ويواسي الفقراء بمعروفه.

وقال عنه الفيروزآبادي: "أول ما رأيته ووقع نظري عليه من أهل العلم بالحرم الشريف، وذلك في حوالي الخمسين والسبعمئة، فشاهدت منه طورًا ووقارًا، وحشمةً ورياسةً، وأدبًا، ناب في الحكم سنين عديدة وعتيدة، إليه يشار في حفظ الأواصر، ويغضب لدين الله ونصره..." [١١].

كان من المكثرين للحجّ، فقد حجّ خمسًا وخمسين حجة، وقد قال في آخر حجة له: هذه حجة الوداع، ولما أحسّ بالمرض أمر بحفر قبره في بقعة مخصوصة، وأوصى أن يعتَق عند قبره العبيد، وأن يُتَصدَّق على الفقراء بصدقة واسعة، وأوقف أوقافًا كثيرةً على الفقراء. [١٢]. وتوفي في العاشر من ربيع

الآخر عام ٧٦٩م/ ١٣٦٨م، ودفن بالبقيع.

٢- مؤلفاته:

من أثمن ما تركه ابن فرحون من بعده مصنّفاته العشرة التي كانت في علوم شتى في الحديث النبوي، واللغة العربية، وتاريخ المدينة، ولا يزال أغلبها مخطوطًا، وهي:

١- "الدرّ المخلَّص من التقصّي والملخّص"، وهو جمع لأحاديث الكتابين "التقصي والملخّص".

٢- "كشف الغطاء في شرح أحاديث مختصر الموطأ"، أورده في أربعة مجلدات.

٣- "كفاية الطلاب في شرح مختصر الجلّاب"، وهو شرح لمختصر التفريغ لابن الجلّاب البيلي.

٤- "نهاية الغاية في شرح الآية"، وهو أسئلة وأجوبة عن آيات من القرآن الكريم، ووصفه السخاوي بأنه في "جودة الإتقان" (١٣)، وقال عنه الفيروزآبادي أيضًا: "صنّف وأفاد وألّف وأجاد" (١٤).

٥- "العدّة في إعراب العمدة"، جمع فيه وجوه الإعرابات واللغة والاشتقاقات في مجلدين.

٦- "التيسير في علمي البناء والتغيي"، في النحو.

٧- "شفاء الفؤاد في إعراب بانت سعاد".

٨- "المسالك الجليّة في قواعد العربية".

٩- "شرح قواعد الإعراب لابن هشام".

١٠- " نصيحة المشاور وتعزية المجاور"(١٥)، وهو الأبرز بين مؤلفاته، وهو محلّ الدراسة في هذا البحث.

٣- (نصيحة المشاور وتعزية المجاورة) مكانته ومنهجه وأهميته:

تناول فيه المؤلف جوانب شتى من الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية والعمرانية بالمدينة المنورة، خلال النصف الأول من القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، إلى جانب ترجمته لكثير من رجال عصره(١٦).

ومما يميّز هذا الكتاب أن المؤلف كان قريبًا من الأحداث، فهو يدوّن أغلب أخباره كشاهد عيان، أو نقلًا عن أشخاص عاصرهم، أو من الجيل الذي سبقه أو قبله، إلى جانب استعانته ببعض المؤلفات المعروفة(١٧).

اتّسم منهجه في عرض مادته بأسلوب واضح وسهل، فعندما يتحدّث عن تراجمه يفصل بين كل ترجمة وأخرى، على الرغم من كثرة الشخصيات التي ترجَم لها، فضلًا عن التفصيل لمن ترجم لهم. غير أن ابن فرحون لم يحرص على ترتيب الشخصيات التي ترجم لها وفق نسق معين، كما هي الحال في كتب التراجم الأخرى، فقال: "لم أقصد الترتيب فيما وضعت، وإنما وجه الله العظيم أردت فيما سأذكره، وفيما قد ذكرت، وجمع الكلمة قصدت"(١٨).

أما أهمية الكتاب فتكمن في انفراد صاحبه بذكر تراجم لأشخاص لم يتعرّض لهم غيره من المؤلفين، فضلًا عن الفترة التاريخية التي تناولها، فهي فترة مهمّة في تاريخ المدينة المنورة(١٩)، التي كانت تحت إمرة أشرافها، وقد عاصر ابن فرحون أحد عشر أميرًا منهم(٢٠).

وفيما يلي نتناول أوجه الحياة الاقتصادية، كما أوردها ابن فرحون:

ثانيًا: أهم ملامح الحياة الاقتصادية :

١-الزراعة:

عرفت المدينة المنورة بطبيعتها الزراعية، الناتجة عن توافر المياه على

مر العصور الإسلامية؛ مما ساعد في تحسين الوضع الاقتصادي للسكان. وتعدّ الزراعة ميزةً للمدينة المنورة، إذ توفّر لسكانها الجزء الأكبر من الحاجات الغذائية، فانتشرت الحدائق والمزارع فيها. ذكر ابن فرحون[٢١] عند حديثه عن شرف الدين مختصّ الديري[٢٢] أنه كان يخرج كل يوم، ويباشر الغرس والعمارة.

ولكثرة النخيل كان كثير من أهل المدينة والمجاورين يجعلونها وقفًا لهم، فتحدث ابن فرحون[٢٣] عن ريحان الهندي[٢٤] أنه أوقف له أوقافًا، ومنها نخيل جيّدة. ويذكر في موضع آخر عن بعض المشايخ قوله: "... وجاهد نفسه بالصيام والقيام والصدقة والإحسان، وأوقف أملاكًا ما بين نخيل ودور ..."[٢٥].

ومن المجاورين من أهل المدينة من كان يعمل في حدائق المدينة المنورة، فقال ابن فرحون عن أحد المشايخ[٢٦]: "... إذا جاؤوا من عملهم من الحدائق حملوا معهم من رمام البقول..."[٢٧].

ومنهم من عمل بالزراعة، إلى جانب عمله بالتجارة، فذكر ابن فرحون[٢٨] فرحون[٢٨] جماعة الشكيليين[٢٩] فقال : "جدهم مسعود النجار أسنَّ حتى اختلط، وكان قد تأثّل[٣٠] مالًا من نخيل ودور، وكان زارعًا مبختًا[٣١] في التجارة ...".

ومن المجاورين من كان يغرس النخيل، وهو من خُدّام الحرم النبوي الشريف، فقال ابن فرحون[٣٢] عنه: "فأول من أدركته من مشايخ الخدام بالحرم الشريف ممن عقلته العزيزي، عزيز الدولة[٣٣]، في أيامه غُرِس كثير من النخل الذي بالمسجد اليوم، وكان منه شيء قبل العزيزي ومات أكثره".

نتج عن الاهتمام بزراعة النخيل إنتاج التمور بكثرة، فكانت الصوامع الخاصة بأوقاف الحرم المدني تمتلئ بأفضل التمور، حتى يبقى مدّة لا يجد من يأخذه حتى يسوَدَّ، فقال ابن فرحون[٣٤] عن ذلك: "ولقد شاهدت منذ زمان كان الناس فيه ناس، يعطي الزائر فوق الصاع[٣٥] من التمر البرني[٣٦]، حتى إن

العصبة[٣٧] إذا أخذوا التمر يكوّمونه على أنطاعهم كومًا، يتعسّل بعضه فوق بعض، ومع ذلك يبقى التمر السنتين والثلاث حتى يسودّ، ولا يجدون من يأخذه". وأشار في موضع آخر إلى غزارة إنتاج التمور: "وكان النخل من الغابة والعمرية إذا استجدّ، لا يخلص منه في شهر ليلًا ونهارًا"[٣٨].

ومن المحاصيل الزراعية أيضًا القمح والشعير واللفت[٣٩] والفواكه، فقال ابن فرحون[٤٠] عند حديثه عن بعض المشايخ المجاورين[٤١]: "وإنما يعمل له شيء من الخبز بلا أدم[٤٢] في أكثر الأوقات...، وربما اكتفى المدة الطويلة بالحريرة من دقيق الشعير ليس لها إدام".

وتحدّث في موضع آخر عن أحد المشايخ[٤٣] أنه كان مبسوط اليد لا يدخّر شيئًا، فقال: "وإذا أطعم الفقير لم يدعْ في بيته قمحًا ولا سمنًا ولا عسلًا..."[٤٤]. وكانوا يدخّرون من القمح ما يكفيهم لسنة فكان الشيخ أبو الغمر الطنجي[٤٥] قد أوصى بأن يشترى له من الدقيق وغيره ما يكفيه لسنته بعد شعوره بالمرض[٤٦].

٢-التجارة :

تحدّث ابن فرحون عن ممارسة التجارة في المدينة المنورة، بشكل محدود، ووصف السلع والبضائع المتداولة، سواء كانت من مصادر داخلية أو خارجية، وأورد إشارات عابرة يمكن أن نتوصل منها إلى رسم صورة لممارسة التجارة في المدينة المنورة خلال العصر المملوكي. وقد علّل أحد الباحثين عدم رواج التجارة في المدينة النبوية خلال العصر المملوكي إلى الصراعات التي كانت بين أمراء المدينة من الأشراف، وبسبب هجمات القبائل؛ مما أدّى إلى تدهور الأوضاع الاقتصادية، وضعف الحركة التجارية[٤٧]. ومن أبرز تلك الحوادث التي كان لها تأثير سلبي في أحوال السكان ما حدث عام ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م

عندما هاجمت المدينةَ بعض القبائل، بدعم من "الخيابرة"، وبعض الصعاليك من أهلها، فنهبت كثيرًا من أحيائها وأسواقها. وأشار ابن فرحون إلى هذه الحادثة فقال[٤٨]: "وكان مما جرى أن نهب جميع ما للحاج من ودائع في المدينة، وحصل عليها من العرب إزعاج واذعار عظيم، وتبعتهم الصعاليك من أهل المدينة وجميع الخيابرة وغيرهم، فلم يتركوا أثاثًا ولا متاعًا، وكان أمرًا عظيمًا لم يجر مثله في زمن من الأزمان التي أدركناها وسمعنا بها".

وعلى الرغم من ذلك وجدت بعض التجارات التي كان لا بد منها وتلبي احتياجات الناس، ويمكن أن نصنّف النشاط التجاري وفق ما أورده ابن فرحون كالتالي:

أ/ التجارة الداخلية:

يقصد بها التجارة أو تبادل السلع الذي يكون من داخل المدينة، ومن جيرانهم من أهل القرى والبوادي المجاورة. فقد عرفت المدينة المنورة بزراعة النخيل وكثرة التمور، فيذكر ابن فرحون[٤٩] أن من الأهالي من عمل على بيع فصي التمور، فقال عن بعض المشايخ[٥٠]: "...ويجمع فصي تمرهم الذي يأكلونه، فإذا اجتمع باعه وصرف ثمنه في مصالحهم". ولم يتطرق ابن فرحون إلى تجارة الفواكه والخضروات وتوفيرها بأسواق المدينة.

ب / التجارة الخارجية:

يقصَد بالتجارة الخارجية القوافل التجارية التي تأتي من خارج المدينة، سواء عبر الطريق التجاريّ البحريّ أو البريّ، فهناك قوافل تجارية تأتي إلى المدينة من مصر عبر المنافذ الرئيسة للتجارة البحرية، ويعدّ ميناء ينبع من أبرزها[٥١]، الذي ذكر المقريزي[٥٢] أنه يستخدم لنقل السلع إلى المدينة المنورة، عندما أشار إلى إرسال السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون سنة

٧٠٠هـ/١٣٠٠م ثلاثة مراكب إلى ينبع شحنها بالغلال والدقيق وأنواع الإدام من العسل والسكر والزيت والحلوى(٥٣).

وأشار ابن فرحون(٥٤) إلى قدوم القوافل التجارية إلى ينبع محملة بالدقيق والقمح والأرز وأنواع الحبوب. وغالبًا ما يكون مصدر البضائع التي تصل إلى المدينة المنورة من بلاد مصر .

كذلك أشار ابن فرحون إلى أن هناك تجارة مع بلاد الشام، وإن لم تكن على مستوى عالٍ، عندما تحدث عن بعض المشايخ المجاورين، فقال(٥٥): "وكان يُهدى إليه من الشام شيء من قديد اللحم فيقبله ويتربّصه". ويستشفّ من بعض قوله أن التجارة مع بلاد الشام كانت قليلة، فقد اشتهرت المدينة بالزراعة والإنتاج الجيد، فقد قال(٥٦): "وكان غالب عيش المدينة من زرعها وزرع السوارقية(٥٧)، لا يأتي من الشام إلا قليلًا".

كما يستشفّ مما ذكره ابن فرحون أيضًا في موضع آخر أن هناك تجارة مع بلاد اليمن، واتّضح ذلك عند حديثه عن أحد المشايخ فقال(٥٨): "وكان بالمدينة رجل يقال له: الشيخ أبو بكر بن قرنيع، من تجار اليمن من ذوي المعروف..."، كما قال في موضع آخر(٥٩): "... فبعضهم توجه إلى عيذاب، وأذاقوا أهلها العذاب، وأسروا تجار اليمن، ونهبوا ما معهم، وبعضهم توجّه إلى أرض الحجاز...".

ج/ الأسواق:

تمثّل الأسواق عاملًا اقتصاديًّا مهمًّا في أي مجتمع، وقد وجدت في المدينة المنورة، وامتلأت بالبضائع، وفق ما ذكره المؤرخون(٦٠) للفترة الزمنية التي أرّخ لها ابن فرحون، إلا أنه لم يذكر الأسواق في المدينة، سوى إشارات توحي بوجود الأسواق، فعند حديثه عن أحد المشايخ قال(٦١): "... ويجمع

فصي تمرهم الذي يأكلونه، فإذا اجتمع باعه وصرف ثمنه في مصالحهم". ومن إشاراته أيضًا التي تدل على وجود الأسواق قوله[٦٢]: "وكان يُحسن إلى الدوابّ المضيّعة بالأسواق، ويرى ذلك كله من جملة الصدقات". ونشير هنا إلى أننا سنتحدث بعدُ عن المهن والحرف التي عمل بها أهل المدينة، وفق ما ورد لدى ابن فرحون، فذكرها يدل على وجود مكان يزاولون فيه هذه المهنة، كالعطارة، والتجارة، والخرازة[٦٣].

ومن المناسب أن نذكر هنا أن الأسواق قد خضعت للرقابة، فكان هناك رجال الحسبة لمراقبة الأسواق والسلع وأسعارها، وقد تولّى هذه الوظيفة القارئ حميدان بن محمد[٦٤]، سنة ٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م، وعرف بحكمته وهيبته[٦٥].

٣- الثروة الحيوانية:

لأن المدينة المنورة منطقة زراعية فقد تطلّب ذلك وجود ثروة حيوانية تخدِم المجتمع الزراعي، وقد اتّضح هذا الجانب لدى ابن فرحون ببعض الإشارات التي أشار إليها عندما تحدث عن بعض الرجال الذين ترجم لهم؛ فقال، وهو يتحدّث عن بعض المشايخ المجاورين[٦٦]: "... فلما استقرّ بها وكثر خيره وخيله وخوله وعبيده وجواريه..."[٦٧]. وأشار في سياق آخر في ترجمة أخرى[٦٨] بقوله: "... قال: فاشتريت حمل قمح فلمّا دنوت من الدرب قال لي صاحب الجمل: أنا ما أدخل به أخاف أن أطالَب بخراجه. قال: فقلت له: سُق الجمل، وأنا أتكفّل بما يطلبونه منك"[٦٩]. وهذا يوضح استخدامهم للجمال في نقل الأحمال من القمح وغيره.

وفي موضع آخر قال: "فخرج آل منصور من المدينة، ولم يتعرّضوا لجمال السواني[٧٠]، وتحمّل الوزير المذكور بأهله وأولاده وماله على البقر"[٧١].

٤- المهن والحرف[٧٢]:

تعدّ الحرف والمهن من المقومات الأساسية لحياة المجتمعات، حيث توفّر لهم الخدمات الأساسية لمعيشتهم، وقد أورد ابن فرحون إشارات من خلالها يظهر لنا المهن والحرف التي عمل بها أهل المدينة، ومن أهمّها:

١- نسخ الكتب وتجليدها:

انتشرت المكتبات في مكة والمدينة، سواء الخاصة أو العامة[٧٣]، وقد استوجب وجودها وجود مجموعة من الموظفين اختلفت مهامهم ورتبهم وفق العمل الذي يقومون به. ولن نتطرّق إلى الوظائف جميعها في المكتبات، ولكنّا سنلقي الضوء على الوظائف التي أشار إليها ابن فرحون، فقد أشار إلى وظيفة الناسخ (الوراق)[٧٤] في كل مكتبة، ووجد أكثر من ناسخ لنسخ ما يطلب من قبل واقف المكتبة[٧٥].

فذكر ابن فرحون[٧٦] أن الشيخ أبا عبدالله السكري[٧٧] كان مكبًّا على الاشتغال بالعمل والعمل، وقال: "واشتغل وحصّل وكتب بخطه كثيرًا، وخلّف ولدًا مباركًا".

وكذلك أشار إلى وظيفة المجلّد، ومهمّته أن يجلّد ما ينسخه الناسخ من كتب، كما يرمّم ويصلح ما تتعرّض له الكتب من تلف أوراقها وتساقطها من كثرة الاستخدام، وممن عمل بهذه الوظيفة الشيخ محمد التلمساني[٧٨]، كان من أهل الخير والصلاح محبًّا للعلماء، اشتغل بتجليد الكتب، وانتفع الناس به كثيرًا في ذلك[٧٩].

٢- العطارة:

ومن المهن التي انتشرت في بلاد الحجاز عامةً، ومكة المكرمة والمدينة

المنورة خاصةً، العطارة، فالعطار يعمل في بيع العطور، ويقوم أيضًا بدور الطبيب والصيدلي، وكان لها سوق خاصة، كما هي الحال في مكة المكرمة[٨٠]، ويقع قريبًا من سوق الصاغة. وقد ذكر ابن فرحون[٨١] أن معظم جماعة المشاكير[٨٢] في المدينة المنورة يعملون بالعطارة، كذلك عمل جماعة الشكيليين بالعطارة.

٣-البناء والنجارة:

تعدّ مهنة البناء من المهن الأساسية لأي مجتمع، سواء في بناء المساكن أو المباني الدينية أو المرافق العامة. وقد برز في العصر المملوكي رجال منهم، وفق ما أشار إليه ابن فرحون[٨٣] عند حديثه عن الشيخ كافور المظفري[٨٤]، ذكر بأنه كلم أميرين[٨٥] في بناء المنارة التي بباب السلام – اليوم – وقال لهم أنه لا يطلب المال، ولكن يطلب منهما أن يرسلا الصناع، وبدأ هو في تحصيل الحجر والمؤنة، بينما يأتي الحاجّ، فحمل من الحجر ما يحتاج إليه من أنواعه كلّها، فكانت كالجبال، فيما بين بابي الرحمة والسلام وأمر بالحفر لها، وقد باشر الحريري ذلك البناء وبذل ماله ونفسه وخُدامه، وأمر من كان بالمدينة أن يتعانى[٨٦] البناية، كالشيخ إبراهيم البنّاء والشيخ علي الفرّاش وغيرهما، ممن ليس له في البناية خبرة كثيرة، أن يحفروا الأساس فحفروا[٨٧].

ومن المهن المكمّلة لمهنة البناء، وتعنى بحاجة الناس، النجارة، مثل: نجارة البناء، ونجارة الأثاث، والأدوات المنزلية، وتعتمد هذه المهنة على المواد الأولية المحلّية والمستوردة[٨٨]. وقد أشار ابن فرحون[٨٩] إلى بعض النجارين الذين امتهنوا هذه المهنة في المدينة، ومنهم الشيخ أبو بكر بن يوسف، المعروف بالمحوجب النجار[٩٠]، الذي قدم المدينة سنة ٦٦٦هـ/ ١٢٦٧م بعد حريق المسجد النبوي، وقد أحسن عمله في النجارة. ومن المهن المرتبطة بالبناء

أيضًا مهنة الدهان[٩١] والتزويق[٩٢]، فقال ابن فرحون[٩٣] في ذلك: "وكان أبو عبدالله[٩٤] مجيدًا في صنعة الدهان والتزويق، فعمل في الحرم الشريف مع الدهانين".

٤ – الصيد:

من المهن التي امتهنها أهل المدينة مهنة الصيد، ولعلهم عملوا بالصيد في البرّ، إذ لم تكن المدينة ساحلية، وقد ذكر ابن فرحون[٩٥]، وهو يتحدّث عن قاسم التكروري[٩٦] قال: "كان ملازمًا للسياحة في الجبال والبرية، لا يأتي إلا من جمعة إلى جمعة يقتات بالبقول، ويتتبع مجتمعات الماء التي يربى فيها الحوت، كنفج والسدّ وغيرهما، فيصيد منه شيئًا ويقتات منه، وشيئًا يهديه لأصحابه وأحبابه".

٥ – الخِرازة[٩٧]:

ارتبطت هذه الحرفة بصناعة الجلود، وهي خرز النعال، وعمل بها المجاورون الذين قدموا المدينة، فعملوا على ممارسة هذه الحرفة في منازلهم. يقول ابن فرحون[٩٨]: "كان من السادة المحظوظين، والأخيار المعدودين، الأخوان الصالحان المتحابّان في الله، الشيخ أبو الحسن الخرّاز والشيخ أبو عبدالله محمد الخرّاز، أقاما في بيت واحد فوق الثلاثين سنة مجتمعين على صناعة واحدة، يخرزون في بيتهم هم وأتباعهم لأنفسهم النعل وغيرها".

٦ – الخِراطة[٩٩]:

من الحرف التي مارسها أهل المدينة، وتقوم عليها صناعة السُّبَح التي تجد إقبالًا من الحجاج والمعتمرين، وقد أشار ابن فرحون[١٠٠] إلى أن بالمدينة من مارس هذه المهنة، ويقتات منها، وهو من المجاورين محمد الخزار، فقال: "وكانت صنعته خرط[١٠١] المخشّب بالمخراط[١٠٢] الشريف، يعمل السُّبَح ويبيعها ويتقوت بثمنها". وهذا يوضّح أن هذه الحرفة كانت مصدر رزق لهم ولأسرهم.

٧-الخياطة:

من المهن التي عمل بها أهل المدينة مهنة الخياطة، وما زالت معروفة حتى وقتنا الحاضر خياطة الملابس للنساء والرجال، وقد امتهن هذه المهنة، كما أشار ابن فرحون[١٠٣]، أبو الحسن علي السلاوي، فقد اشتغل بالخياطة وانتفع بها.

٨-الحِمالة:

الحمّال: من الحَمْل حَمَلت الشيء أحمله حَمْلًا وحملانًا، والحمّال: حامل الأحمال، وحرفته الحِمالة[١٠٤]، وقد كان هناك حمّالون في المدينة المنورة يعملون في الأسواق، وينقلون السلع والبضائع، وكذلك العمل في المزارع، فذكر ابن فرحون[١٠٥] عند حديثه عن كثرة محاصيل التمور قوله: "ورأيت الحمّالين يضعون أحمالهم من باب رباط الفاضل[١٠٦]، إلى باب التربة...، ومن رباط دكالة أيضًا... إذا جاؤوا مع المغرب لا يفرغون عن حمله إلا قريب الصبح".

٩-الوظائف الدينية:

ومن المناسب هنا أن نتحدّث عن الوظائف الدينية المتعلّقة بالمسجد النبوي الشريف، باعتبار الوظائف جزءًا من الحياة الاقتصادية، وأشار ابن فرحون إلى بعض تلك الوظائف عند حديثه عن بعض المجاورين أو أهل المدينة يمكن ذكرها فيما يلي:

أ) الأئمة والخطباء:

شهد المسجد النبوي خلال العصر المملوكي تولّي عدد من المشايخ منصبي الخطابة والإمامة، وهي من أهمّ المناصب الوظيفية داخل الحرم النبوي الشريف، لما له من تأثير في أهل المدينة والمجاورين والقائمين على شؤون

المسجد النبوي[١٠٧]. وقد أشار ابن فرحون[١٠٨] لتوليّ الشيخ سراج الدين عمر بن أحمد[١٠٩] الإمامة والخطابة سنة ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م، وقد كانت بعد آل سنان[١١٠]، وعزل لفترة وجيزة، ثم أعيد لمنصبه للإمامة والخطابة، واستمرّ بها قرابة أربعين سنة، إلى أن توفي سنة ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م[١١١]، ثم تولّى الخطابة والإمامة بعد وفاة سراج الدين بهاء الدين بن سلامة المصري[١١٢]، واستمرّ سنتين ثم استقال، لأنه لم يرَ نفسه أهلًا لما شرطه الواقف من معرفة القراءات والفرائض[١١٣]، وخلفه كما أشار ابن فرحون[١١٤] في الخطابة والإمامة شرف الدين أبو الفتح محمد بن محمد[١١٥]، وتوفي في سنة ٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م.

كذلك ممن تولّى منصب الخطابة والإمامة جمال الدين محمد بن أحمد المطري[١١٦] سنة ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م[١١٧]، ثم تولّى بعده العلامة تقي الدين عبدالرحمن الشافعي[١١٨]، كذلك في سنة ٧٦٦هـ/ ١٣٦٤م تولّى الإمامة والخطابة شمس الدين محمد بن سليمان الشافعي[١١٩]، وقام بها أحسن قيام[١٢٠].

ب) الأذان:

من الوظائف الأساسية في المسجد وظيفة الأذان، وتحدّث ابن فرحون[١٢١] عن أسرة مارست الأذان في المدينة المنورة، وتنسب إلى الشكيليين[١٢٢]، منهم محمد ابن الفقيه حسن وابنه أحمد كانا من جملة المؤذنين، وأيضًا برز من المشاكير[١٢٣] عبدالرحمن بن مشكور.

ج) السقاية:

ارتبطت السقاية بوجود الحرمين الشريفين، ويقدّم صاحبها الماء اللازم للشرب، سواء من السقايات الموجودة داخل المسجد النبوي أو من خارجه[١٢٤]. وذكر ابن فرحون[١٢٥] بعض من مارس هذه الوظيفة، ومنهم أحمد السقا[١٢٦]،

الذي لم يكن يأخذ أجرًا على عمله، وكذلك حسين الشيرازي وابناه حسن ومحمد[١٢٧]، فقد خلفا والدهما في السقاية[١٢٨].

٥- الأملاك الخاصة:

أشار ابن فرحون إلى نشاط مارسه أهل المدينة، وهي الأملاك الخاصة، دُورًا أوغيرها، فعند حديثه عن الشيخ شهاب الدين أحمد[١٢٩] ذكر بأنه اشترى له دارًا ونخلًا، ليكون لزوجته ولأولاده من بعده[١٣٠]، وكذلك قال عن تولّي ظهير الدين مختار[١٣١] مشيخة الحرم بأنه أدخل في قلوب الشرفاء والأمراء الرعب، واستخلص من أيديهم أوقافًا وأملاكًا كانوا وآباؤهم فيها[١٣٢]، وعند حديثه عن شمس الدين محمد الجبرتي ذكر بأنه ملك الأملاك الكثيرة من النخيل والدور[١٣٣]، وذكر أيضًا أن بالمدينة جماعة من العمريين ينتسبون إلى عمر بن بن الخطاب رضي الله عنه، كانوا جماعةً كبيرةً لهم شوكة وكلمة نافذة، وكان لهم بالمدينة أملاك عظيمة[١٣٤]، أيضًا ملك محمد السخاوي أملاكًا كثيرة من الدور، وهو من الشرفاء[١٣٥]، وربما استثمروها وأجّروها على المرتادين للمدينة المنورة، خاصة في أوقات المواسم، ولكن ابن فرحون لم يفصح عن ذلك.

٦- العملات المستخدمة والمكاييل:

في جانب اقتصادي آخر شهدت الفترة التي أرّخ لها ابن فرحون، كما مرّ بنا عصر الدولة المملوكية، وقد ارتبطت العملات المستخدمة في المدينة المنورة بما هو متداوَل في بلاد مصر من الدنانير والدراهم النقرة[١٣٦]، وأشار ابن فرحون[١٣٧] إلى ما يوضّح استخدامهم لهذه العملات، فقد تحدّث عن الشيخ عز الدين دينار أنه سافر إلى الديار المصرية، واستخلف على بيته وأمواله بعض أصدقائه من المجاورين، ولما عاد من مصر فقد ما خلفه في بيته، ونقص مقدار أربعة وعشرين ألف درهم[١٣٨]. كذلك عندما ذكر أن الشيخ عمر

العسكري الخرّاز كان يأخذ الدَّيْن الكثير لأجل عياله، فيأتي الموسم وعليه فوق الثلاثة آلاف درهم(١٣٩)، كما ذكر أن كتب أبي محمد عبدالله بن حجاج المغري(١٤٠) قد بيعت بعد وفاته بدرهم(١٤١). كذلك أشار إلى عقاب رجل إمامي من حلب لجارية له، فعلم بذلك الأمير فمسكه وأخذ منه ألف دينار(١٤٢).

أمّا المكاييل المستعملة في المدينة المنورة فمنها الصاع، فقد قال ابن فرحون(١٤٣) عند حديثه عن توزيع التمر: "يعطي الزائر فوق الصاع من التمر...". كذلك ذكر عند حديثه عن الغلاء سنة ٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م أن الصاع من التمر وصل إلى الخمسين(١٤٤). كما تحدّث عن أحد مشايخ الحرم(١٤٥)، وذكر أنه قدم صاعًا من الدقيق للشيخ شمس الدين الحليمي(١٤٦).

٧- غلاء الأسعار:

لم تكن الأسعار في المدينة المنورة مستقرّة خلال العصر المملوكي، وكانت تتأثّر بالأوضاع السياسية والاقتصادية، وأيضًا المناخية، ينتج عنها فترات من الرخاء واستقرار الأسعار، أو فترات من ارتفاع في الأسعار، بسبب القحط والجفاف أو لأي سبب آخر. فأشار ابن فرحون(١٤٧) عند حديثه عن الشيخ محمد الهوري(١٤٨)، إلى أنه عند قدومه إلى المدينة صادف غلاء عظيمًا سنة ٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م(١٤٩)، وعدم التمر، ووصل سعر الصاع منه خمسين درهمًا. وعلى الرغم من أن الحجاز عامة، والمدينة المنورة ومكة المكرمة خاصة، شهد سنوات غلاء خلال الفترة التي شهدها ابن فرحون(١٥٠)، إلا أنه لم يشر إليها في ثنايا كتابه بتوسّع.

٨- الأوقاف وأثرها في الحياة الاقتصادية:

كان لقدسية المدينة المنورة ومكانتها الدينية، وقدوم أعداد كبيرة من الزوار، حجاجًا أو معتمرين، أثر في ضعف الدخل الاقتصادي؛ مما جعلها

تعتمد في كثير من الأحيان على ما يردها من الخارج[١٥١]، لذلك كان للأوقاف أثرها الاقتصادي والاجتماعي، حيث أُنفق منها على القادمين إلى المدينة المنورة، وكذلك على المسجد النبوي. فذكر ابن فرحون[١٥٢]، عندما تحدّث عن الشيخ عز الدين دينار[١٥٣]، أنه أوقف أملاكًا ما بين نخيل ودور، ولم يوضح أوجه صرفها. كذلك تحدّث عن ريحان الهندي أنه أوقف رباطين حسنين عمَّ النفع بهما، وكذلك نخيلًا جيّدةً وسقايةً للماء، ودارين[١٥٤]. وكذلك قال عند حديثه عن خُدّام المسجد النبوي: "وأعلم أنه كان قبل هؤلاء ومعهم وبعدهم جماعة كثيرون، يفوقون على المئة لو عددتهم كلهم متّصفون بالخير الكثير والدين المتين، والأوقاف من الدور والنخيل..."[١٥٥]. كذلك قال عند حديثه عن الشيخ أبي عبدالله محمد الغرناطي إنه نعم الرجل، وقد أدخله جماعة الخُدَّام لخدمة الحرم الشريف، وقدّموه في حفظ حواصلهم وأوقافهم[١٥٦]. كذلك أوقف الشيخ عبدالعزيز التونسي[١٥٧] نخيلًا له للحرم[١٥٨].

الخاتمة:

تناول ابن فرحون في كتابه (نصيحة المشاور وتعزية المجاور)، الذي طبع بعنوان (تاريخ المدينة المنورة)، كثيرًا من الأحداث السياسية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية. وقد كشفنا من خلال البحث عن أبرز النتائج، من حيث أصالة المعلومات والقيمة العلمية والتاريخية لها، والمتعلّقة بالحياة الاقتصادية. ومن أهمّ ما توصل إليه البحث:

- علوّ مكانة ابن فرحون بين المؤرخين في عصره، وقيمة كتابه محلّ الدراسة وأهميته بين مصنّفاته.
- أضاءت المعلومات التي أوردها ابن فرحون كثيرًا من الجوانب الاقتصادية في المدينة المنورة في عصره.

- شـهدت المدينـة المنـورة حركـةً تجاريـةً، عمادهـا ومجالاتهـا أهـل المدينـة والمجاورون معهم.
- كـان الإنتـاج الزراعـي أسـاس النشـاط الاقتصـادي الذي قامـت عليـه الحيـاة الاقتصادية في المدينة المنورة، وكان النخيل في مقدمة ذلك الإنتاج.
- عرّفنـا ابـن فرحـون بعدد من المهن والحـرف التـي مارسـها أهل المدينـة أو المقيمون بها، وكانت مصدر دخل لهم.
- أفـاد ابـن فرحـون بإشـاراته وإيماءاتـه المختصـرة بتـوافر الثـروة الحيوانيـة فـي المدينة المنورة، كجانب من جوانب الحياة الاقتصادية.
- عمل أهل المدينة المنورة بالأملاك العقارية، وكذلك المقيمون المجاورون.
- زوّدنا بمعلومات عن العملات المتداولة والمكاييل المستعملة في التعاملات التجارية في المدينة المنورة.
- ذكر ابن فرحون كثيرًا من المعلومات الاقتصادية التي ارتبطت بالمجاورين في المدينة المنوّرة، وتعايشهم مع أهلها.

الهوامش:

(١) ممن تناول تاريخ المدينة ابن زبالة، محمد بن الحسن (ت١٩٩هـ/ ٨١٤م): **أخبار المدينة**، جمع وتوثيق ودراسة: صلاح عبدالعزيز بن سلامة، مركز بحوث ودراسات المدينة، ط١، ٢٠٠٣م؛ الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ/ ١٤١٤م): **المغانم المطابة في معالم طابة**، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٣هـ؛ السمهودي، نور الدين علي بن أحمد (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م): **وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى**، تحقيق: خالد محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م.

(٢) عبدالله بن محمد بن فرحون اليعمري المالكي: فقيه من العلماء بالحديث، أصله من تونس ومولده ونشأته في المدينة، قرأ القرآن والحديث والفقه والتفسير. ابن فرحون، الديباج المُذهب، ٢٣٤– ٢٣٥؛ السخاوي، شمس الدين (ت٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م)، **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**، نشره: أسعد طرابزوني، (د.م)، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص٥٢؛ الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٧٩م، ج٤، ص١٢٦.

(٣) ابن فرحون، أبو محمد عبدالله بن محمد (ت٧٦٩هـ/ ١٣٦٨م)، **تاريخ المدينة المنورة المسمى (نصيحة المشاور وتعزية المجاور)**، تحقيق: حسين شكري، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، (د.ت).

(٤) ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م)، **جمهرة أنساب العرب**، إشراف: محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ص٢٩٣.

(٥) قرية إيان الواقعة بالقرب من قرية جيان بالأندلس.

(٦) السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج٢، ص٥٦٢.

(٧) السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج٢، ص٥٦٢.

(٨) منهم: الشيخ جمال الدين محمد بن أحمد المقري، والشيخ عز الدين يوسف الزرندي، والشيخ سراج الدين الدمنهور، والشيخ محمد بن حريث البلنسي. ابن فرحون، إبراهيم بن

علي نور الدين (ت٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م): **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تحقيق: مأمون بن محيي الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص٢٣٤ – ٢٣٥.

(٩) ابن مخلوف، محمد (١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م)، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، بيروت، لبنان، ١٣٤٩هـ، ص٢٠٣.

(١٠) السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج٢، ص٥٦٢ .

(١١) **المغانم المطابة**، ص٢٥٣.

(١٢) ابن فرحون، **نصيحة المشاور**، ص١٠-١١.

(١٣) **التحفة اللطيفة**، ج٢، ص٥٦٣.

(١٤) **المغانم المطابة**، ص٢٥٤.

(١٥) ابن فرحون، **الديباج والمذهب**، ص٢٣٦.

(١٦) ابن فرحون، **نصيحة المشاور**.

(١٧) على سبيل المثال: رحلة ابن جبير، لابن جبير؛ الكامل في التاريخ، لابن الأثير؛ وفيات الأعيان، لابن خلكان، والصحيحان، للبخاري ومسلم.

(١٨) **نصيحة المشاور**، ص٥٨.

(١٩) وضّحنا ذلك في المقدمة.

(٢٠) أولهم جماز بن شيحة بن هاشم (٦٥٩هـ – ٧٠٠هـ/ ١٢٦٠٠ – ١٣٠٠م)، وآخرهم عطية بن منصور بن جماز (٧٦٠ – ٧٧٣هـ/ ١٣٠٨ – ١٣٧١م). عبد الغني، عارف أحمد، **تاريخ أمراء المدينة المنورة (١- ١٤١٧هـ)**، دار كنان، دمشق، (د.ت)، ص٢٦٤ – ٢٨٥.

(٢١) نصيحة المشاور، ص٤٤.

(٢٢) مختصّ الخزندار شرف الدين خادم الحرم الشريف المدني: كان شديد الحقد مع لين الكلمة، عَمَر الأوقاف. انظر: ابن حجر، الحافظ شهاب الدين العسقلاني أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، تحقيق: محمد عبد المعين خان مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، ط٢، ج٢، ص١٠٥.

(٢٣) ابن فرحون، **نصيحة المشاور**، ص٥٤.

(٢٤) ريحان الهندي: أحد خدمة المسجد النبوي من الخُدَّام الذين طالت إقامتهم في المدينة، وله مآثر حسنة. انظر: السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج١، ص٣٥٢.

(٢٥) **نصيحة المشاور**، ص٤٢.

(٢٦) منهم: يوسف الخولي، وحسن الخولي، ومحمد المكناسي. **نصيحة المشاور**، ص٦٠.

(٢٧) رمام البقول: الرمام البقل حين يبقل، والبقل: كل نبات عشبي يتغذّى به الإنسان، كالخضروات، ومنها: الفاصوليا واللوبيا والفول والعدس. انظر: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن محمد (ت٧١١هـ/ ١٣١١م)، **لسان العرب**، طبعة مراجعة ومصححة بمعرفة نخبة من السادة الأساتذة المتخصصين، القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، ج٤، ص٢٥٣.

(٢٨) **نصيحة المشاور**، ص١٧٠.

(٢٩) الشكيليون: أصلهم من مكة، جدّهم مسعود النجار، له حظّ كبير في البيع والتجارة والزراعة، وله مال ودور، وله ذرية صالحة من أولاد، وأولاد أولاد، كلهم قرّاء. انظر: الأنصاري، عبدالرحمن عبدالكريم (ت١١٩٥هـ/ ١٧٨٠م): **تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب**، تحقيق: محمد المطوي، المكتبة العتيقة، تونس، ط١، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م، ج١، ص١٧٣.

(٣٠) تأثّل: ادّخر مالًا ليستثمره. انظر: الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ/ ١٤١٤م): **القاموس المحيط**، رتبه ووثقه: خليل مأمون شيحا، بيروت، دار المعرفة، ط٤، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ص١٤٨.

(٣١) مبختًا: محظوظًا، يقال هذا الرجل مبخَت. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج١، ص٣٣٨.

(٣٢) **نصيحة المشاور**، ص٣٧.

(٣٣) ريحان عز الدين أو عزيز الدولة الطباخي: أحد خدمة المسجد النبوي، كان حنفيًا متفقّهًا ملازمًا للعلماء. انظر: السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج١، ص٣٥١.

(٣٤) **نصيحة المشاور**، ص٤٤.

(٣٥) الصاع: مكيال تكال به الحبوب ونحوها، قدّرها أهل الحجاز قديمًا بأربعة أمداد. ومقدار الصاع عند الحنفية: ٨١٢,٥ × ٤ = ٣,٢٥ كيلوجرام، وعند الجمهور: ٥١٠ × ٤ = ٢,٠٤ كيلوجرام. انظر: محمد، علي جمعة، **المكاييل والموازين الشرعية**، القدس للإعلان والنشر والتسويق، القاهرة، ط٢، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ص٣٧.

(٣٦) التمر البرني: نوع جيد من التمر مدوّر أحمر مشرّب بصفرة، ويقال: نخل برني، ونخلة برنية. الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، ص١٠١.

(٣٧) العُصْبَة: الجماعة من الناس ما بين العشرة إلى الأربعين. الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، ص٨٧٧.

(٣٨) **نصيحة المشاور**، ص٤٤.

(٣٩) اللفت: بقل زراعي جذري، أنواعه كثيرة، يؤكل بعضها نيئًا، وبعضها مطبوخًا أو مخللًا. ابن منظور، **لسان العرب**، ج٨، ص١٠١.

(٤٠) **نصيحة المشاور**، ص١١٧.

(٤١) هو الشيخ موسى بن علي المراكشي. **نصيحة المشاور**، ص١١٧.

(٤٢) الإدام: هو ما يؤكل بالخبز أي شيء كان. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج١، ص١٠٢.

(٤٣) هو الشيخ الصالح أبو محمد عبدالله البسكري. ابن فرحون، **نصيحة المشاور**، ص٥٩.

(٤٤) ابن فرحون، **نصيحة المشاور**، ص٦٠.

(٤٥) هو السائب بن عبدالله بن السائب القاضي، أبو الغمر الخزرجي الأنصاري الطنجي: أقام بالمدينة مدّة طويلة، من كبار الأولياء المتحلّين بالعلم والعمل، سكن برباط دكالة. السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج٢، ص١١٤.

(٤٦) ابن فرحون، **نصيحة المشاور**، ص١١٥.

(٤٧) المديرس، عبدالرحمن، **المدينة المنورة في العصر المملوكي ٦٤٨ – ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠–١٥١٧م دراسة تاريخية**، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط١، ١٤٢٢/ ٢٠٠١م، ص١٠٧.

(٤٨) ابن فرحون، **نصيحة المشاور**، ص٢١١.

(٤٩) **نصيحة المشاور**، ص١٥٨.

(٥٠) وهو شمس الدين محمد بن يوسف الحلمي. **نصيحة المشاور**، ص١٥٧.

(٥١) برز استخدام ميناء ينبع في العصر الإسلامي سنة ٦٢١هـ/ ١٢٤٤م، فقد اشترى السلطان الكامل الأيوبي قلعة ينبع على ساحل البحر مقابل المدينة من الأشراف الحسينيين بأربعة آلاف مثقال. المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت٨٥٤هـ/١٤٤١م)، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ط٢، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م، ج١، ص٨٠؛ المديرس، **المدينة المنورة في العصر المملوكي**، ص١١٢.

(٥٢) المقريزي، **السلوك**، ج١، ص٣٨١.

(٥٣) مع الأمير بكتمر الجوكندار، وقد أنفق في حجته خمسة وثمانين ألف دينار. المقريزي، **السلوك**، ج١، ص٣٨١.

(٥٤) **نصيحة المشاور**، ص٢٢.

(٥٥) **نصيحة المشاور**، ص٧٦.

(٥٦) **نصيحة المشاور**، ص٢٤٨.

(٥٧) السوارقية: قرية غنّاء كبيرة كثيرة الأهل، فيها منبر ومسجد جامع وسوق تأتيها التجار من الأقطار لبني سليم خاصة، ولكل من بني سليم فيها شيء، وفي مائها بعض الملوحة، ويستعذبون من آبار في واد يقال له سوارق، وواد يقال له الأبطن، ماءً خفيفًا عذبًا، ولهم مزارع ونخيل كثيرة من موز وتين وعنب ورمان وسفرجل وخوخ، ويقال له الفرسك، ولهم إبل وخيل وشاء. الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبدالله (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)، **معجم البلدان**، بيروت، دار صادر، ط٢، ١٩٩٥م، ج٣، ص٢٧٦.

(٥٨) **نصيحة المشاور**، ص٩٤.

(٥٩) **نصيحة المشاور**، ص٢٦٨.

(٦٠) ابن شاهين، **زبدة كشف الممالك**، ص١٦؛ السمهودي، **وفاء الوفاء**، ج٢، ص٧٣٦-٧٣٧.

(٦١) **نصيحة المشاور**، ص١٥٨.

(٦٢) **نصيحة المشاور**، ص٤٤.

(٦٣) سنتحدّث عن المهن والحرف في الصفحات التالية.

(٦٤) حميدان بن محمد بن مسعودي الشكيلي المدني: كان قارئًا، وله هيبة وهمّة وحسن سياسة، توفي سنة ٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م. انظر: السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج١، ص٣٠٨ .

(٦٥) ابن فرحون، **نصيحة المشاور**، ص١٦٩.

(٦٦) هو الشيخ يعقوب الشريف، كان له علم وفقه. ابن فرحون، **نصيحة المشاور**، ص٨٣.

(٦٧) ابن فرحون، **نصيحة المشاور**، ص٨٥.

(٦٨) في ترجمة لوالده أبي عبدالله محمد بن ابي الفضل بن فرحون. ابن فرحون، **نصيحة المشاور**، ص٢٤٨.

(٦٩) ابن فرحون، نصيحة المشاور، ص٢٤٨.

(٧٠) السانية: هي الناقة التي يسقى عليها، وجمعها السواني. ابن منظور، **لسان العرب**، ج٤، ص٧٢٣.

(٧١) ابن فرحون، **نصيحة المشاور**، ص٢٣٥.

(٧٢) المهنة: العمل باليد. واصطلاحًا: مجموعة من الأعمال تتطلب مهارات معيّنة يؤديها الفرد من خلال ممارسات تدريبية. والحرفة: من الاحتراف، وهو الاكتساب أيًّا كان، وقيل: الحرفة هي الصنعة، والمحترف هو الصانع، الذي يصنع ويعمل بيديه. واصطلاحًا: هي جهة الكسب. والفرق بين المهنة والحرفة أن المهنة كل عمل يقوم به الإنسان، أما الحرفة فهي العمل اليدوي، فالمهنة أشمل من الحرفة. الفراهيدي، أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد (ت١٧٥هـ/ ٧٩١م)، **كتاب العين**، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، (د.ط)، ج١، ص٣١٢؛ ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (٣٢١هـ/ ٩٣٢م)، **جمهرة اللغة**، تحقيقِ: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م، ج٢، ص٦٠؛ محمد، محمود سالم، **أدب الصناع =وأرباب الحرف حتى القرن العاشر الهجري**، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص٣٨، ٥٨. الحميداوي: صباح عزيز، **الأحوال الاجتماعية والاقتصادية لأعيان الأندلس في عهدي الإمارة والخلافة (١٣٨-٤٢٢هـ)**، كلية الآداب، جامعة بغداد، رسالة دكتوراة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص١٤٤، ٤٤٢.

ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم الدينوري (ت٢٧٦هـ/ ٨٩٩م)، **غريب الحديث**، تحقيق: عبدالله الجبوري، دار إحياء التراث، ط١، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ج١، ص٣٢١.

(٧٣) للتعرّف إلى نشأة المكتبات وتطوّرها في مكة المكرمة، انظر: ابن دهيش، عبداللطيف بن عبدالله، **المكتبات في مكة المكرمة نشأتها وتطورها عبر العصور**، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م؛ اليحيى، عماد صالح، **المكتبات في مكة والمدينة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي ٥٧٠- ٩٢٣هـ/ ١١٧٤- ١٥١٧م: دراسة تاريخية**، رسالة ماجستير، جامعة القصيم، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

(٧٤) الوراق: اسم من يكتب المصاحف وكتب الحديث وغيرها، وقد يقال لمن يبيع الورق ورّاقٌ. السمعاني، عبدالكريم بن محمد بن محمد بن منصور (ت٥٦٢هـ/ ١١٦٦م)، **الأنساب**، تحقيق: عبدالله البارودي، دار الجنان، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ج٥، ص٥٨٤، وقال السبكي عن مهنة الوراق: "من أجود الصنائع، لما فيها من الإعانة على كتابة المصاحف، وكتب العلم، ووثائق الناس وعهدهم". **معيد النعم ومبيد النقم**، دار الحداثة، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م، ص١٣٢.

(٧٥) النهروالي، قطب الدين محمد بن أحمد (٩٩٠هـ/ ١٥٨٥م)، **الإعلام بأعلام بيت الله الحرام**، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص٢٣١.

(٧٦) **نصيحة المشاور**، ص١٦٧.

(٧٧) من المشايخ الصلحاء الأخيار مكبًّا على الاشتغال بالعلم والعمل. **نصيحة المشاور**، ص١٦٧.

(٧٨) من أهل الخير، درس الفقه، وكان محبًّا للعلماء وخدمتهم، عمل بتجليد الكتب. السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج٢، ص٤٦١.

(٧٩) ابن فرحون، **نصيحة المشاور**، ص١٦٥.

(٨٠) وهو سوق العطارين، بالقرب من سوق الصواغ. السمهودي، **وفاء الوفاء**، ج٢، ص٧٣٦.

(٨١) **نصيحة المشاور**، ص١٦٩- ١٧٠.

(٨٢) جماعة كثيرة فضلاء، أصلهم من مكة ينسبون إلى قريش، وكان جدهم اسمه مشكور، عمل أغلبهم في العطارة. السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج٢، ص٥١٧.

(٨٣) **نصيحة المشاور**، ص٣٨.

(٨٤) كافور المظفري: المعروف بالحريري، ولي مشيخة الخُدَّام بالمدينة المنورة سنة ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م، فأثّر آثارًا حسنةً، منها المنارة التي على باب السلام. انظر: ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، ج٤، ص٣٠٥.

(٨٥) الأميران سلّار وبيبرسي: الأول كبير أمراء الصالحية والظاهرية، والثاني كبير البرجية. انظر: ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، ج٢، ص٣٣١.

(٨٦) عني بالأمر: اهتم وشغل به. الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، ص٩٢٢.

(٨٧) **نصيحة المشاور**، ص٣٩.

(٨٨) المديرس، **المدينة في العصر المملوكي**، ص٩٨.

(٨٩) **نصيحة المشاور**، ص٣٨.

(٩٠) أبو بكر بن يوسف بن الفتيان المحوجب، العسقلاني الأصل، المصري النجارة، أقام في المدينة إلى أن مات. ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، ج١، ص٥٦١.

(٩١) الدهان: مصدر الفعل دهن، طلاء ما يطلى به الجدار وغيره من الأصباغ أو الزيوت. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج٣، ص٤٣٩- ٤٤٠.

(٩٢) التزويق: التحسين والتزيين، والجمع تزاويق، والأصل في التزويق أن يوضع الزاووق (الزئبق) مع الذهب، فيطلى به الشيء المراد تزيينه. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج٤، ص٤٣٧.

(٩٣) **نصيحة المشاور**، ص١٤٤.

(٩٤) أبو عبدالله محمد بن محمد الغرناطي، المعروف بالتراس، قديم المجاورة، وهو الذي جبَّ نفسه خوفًا من الفتنة، عمل في خدمة الحرم الشريف. ابن بطوطة، محمد بن عبدالله بن محمد اللواتي الطنجي (ت٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تحقيق: علي المنتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ، ج١، ص١٣٩.

(٩٥) **نصيحة المشاور**، ص١٢٢ - ١٢٣.

(٩٦) القاسم التكروري: في رباط مراغة، وهو من الرجال الكبار المنقطعين من هذه الدار. مات في خليص متوجهًا إلى مكة سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م. انظر: السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج٣، ص٤٠٦.

(٩٧) الخِرازة: خياطة الأدم (الجلد). ابن منظور، **لسان العرب**، ج٣، ص٥٩.

(٩٨) **نصيحة المشاور**، ص١٠٤.

(٩٩) الخِراطة: من خرط الشجرة يخرطها خرطًا، أي انتزع الورق واللحاء عنها اجتذابًا. ابن منظور، **لسان العرب**، ج١، ص٢٨٠، والخرّاط الذي يخرط الحديد أو الخشب، مشتغل بالخِراطة. الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، ص٣٦١.

(١٠٠) **نصيحة المشاور**، ص ١٣٥.

(١٠١) حزّ الشيء قطعه، يقال: حزَّ الخشب، الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، ص٢٨٥.

(١٠٢) المِخراط: اسم آلة، والجمع مخاريط. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج٣، ص٦٥.

(١٠٣) **نصيحة المشاور**، ص١٦٦.

(١٠٤) مسعود، جبران، **الرائد (معجم لغوي عصري)**، دار العلم للملايين، بيروت، ط٧، ١٩٩٢م، ص٣١٧.

(١٠٥) **نصيحة المشاور**، ص٤٤.

(١٠٦) كان بعض السكان في المدينة المنورة، وخاصة المجاورين، غير قادرين على شراء الدور أو كرائها، فسكنوا الأربطة والمدارس التي كان للسلاطين المماليك والأثرياء دور كبير في إنشائها، وأوقفوها على المجاورين والفقراء في المدينة المنورة، وكان من بينها رباط الفاضل، ورباط دكالة. المديرس، **المدينة المنورة**، ص١٤٦.

(١٠٧) كان لا بد لمن يتولى هذا المنصب أن تتوافر به عدة شروط، سواء حددت هذه الشروط بنصوص وثائق الأوقاف، أو كانت شروطًا عامةً متعارَفًا عليها، كتوافر العلم الغزير في فروع الدين كافة، من علوم الفقه والحديث والسنة وعلوم القرآن والقراءات واللغة العربية. الزهراني، عائض محمد، وظائف المسجد النبوي في العصر المملوكي،

مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، ع٥٦، ٢٠١٢م، ص١٧١.

(١٠٨) **نصيحة المشاور**، ص١٩٠.

(١٠٩) سراج الدين عمر بن أحمد بن طراد الخزرجي المصري، خطيب المدينة، كان خطيبًا فصيحًا مفوّهًا، خطب أربعين سنة، ثم سافر إلى مصر، فأدركه الموت بالسويس. ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد (ت١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤٠٦هـ، ج٦، ص٧٢.

(١١٠) كانت الخطابة بيد آل سنان، ثم نزعت منهم سنة ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م، في عهد السلطان المملوكي المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي. المديرس، **المدينة المنورة**، ص٢٠٤.

(١١١) ابن فرحون، **نصيحة المشاور**، ص١٩٠.

(١١٢) بهاء الدين موسى بن عبدالرحمن بن الأسعد محمود بن سلامة المدلجي الشافعي، من كبار أهل مصر، إمام المسجد الشريف، توفي سنة ٧٤٤هـ/ ١٣٤٣م. ابن بطوطة، **تحفة النظار**، ج١، ص١٣٩؛ الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد (ت٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م)، **الذيل على كتاب سير أعلام النبلاء المسمى (تعريف ذوي العلا بمن لم يذكره الذهبي من النبلا)**، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٧١، ج١٦، ص١٤.

(١١٣) ابن فرحون، **نصيحة المشاور**، ص١٩٦.

(١١٤) **نصيحة المشاور**، ص١٩٩.

(١١٥) شرف الدين أبو الفتح محمد بن القاضي عز الدين أبي عبدالله محمد الشافعي المصري، كان فقيهًا فروعيًّا حافظًا للمذهب. ابن فرحون، **نصيحة المشاور**، ص١٩٩.

(١١٦) جمال الدين محمد بن أحمد المطري: كان إمامًا عالمًا مشاركًا في العلوم، عارفًا بأنساب العرب. انظر: السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج٣، ص٤٦٧.

(١١٧) ابن فرحون، **نصيحة المشاور**، ص٢٠١.

(١١٨) ابـن فرحـون، **نصـيحة المشـاور**، ص٢٠١. وعبـدالرحمن بـن جمـال الـدين بـن عبدالمؤمن بن أسيد بن عبدالملك الشافعي المصري، قدم المدينة في ذي الحجة سنة ٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م. السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج٢، ص٤٧٨.

(١١٩) محمد بن سليمان الشمس أبو عبدالله الحكري المصري الشافعي: الشيخ العلامة، جامع أشتات الفضائل، توفي ببيت المقدس شهيدًا سنة (٧٨١هـ/ ١٣٧٩م). السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج٣، ص٥٨٠.

(١٢٠) ابن فرحون، **نصيحة المشاور**، ص٢١٠.

(١٢١) ابن فرحون، **نصيحة المشاور**، ص١٦٨.

(١٢٢) سبق التعريف بهم.

(١٢٣) سبق التعريف بهم.

(١٢٤) ذكر ابن النجار عن محمد بن زبالة قوله: "كان في صحن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع عشرة سقاية إلى أن كتبنا كتابنا هذا في صفر سنة تسع وتسعين ومئة، منها ثلاث عشرة حدّثتها خالصة، وهي أول من أحدث ذلك، ومنها ثلاث سقايات ليزيد البربري، مولى أمير المؤمنين، ومنها سقاية لأبي البختري، وهب بن وهب... قلت: وأما الآن فليس في المسجد سقاية إلا في وسطه...". **الدرة الثمينة في أخبار المدينة**، تحقيق: حسين شكري، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، (د.ت)، ص١١٩ – ١٢٠.

(١٢٥) **نصيحة المشاور**، ص١٦٧.

(١٢٦) هو أحمد بن عبدالعزيز المدني السقّا: كان من قدماء المجاورين، وذوي العقل والرأي، كان يتسبّب بسقي الماء، ثم أغناه الله. السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج١، ص١٩٠.

(١٢٧) حسين بن علي بن رستم الشيرازي: من الشيوخ القدماء، وخلّف ولدين: الفقيه شمس الدين محمد بن حسين، والآخر حسن، فيه مكارم الأخلاق وخدمة للفقراء. السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج١، ص٥١٦.

(١٢٨) ابن فرحون، **نصيحة المشاور**، ص١٨٣.

(١٢٩) أحمد بن بالغ المصري: عرف بالخلق الرفيع والسخاء والكرم. السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج١، ص٢٠٨.

(١٣٠) ابن فرحون، **نصيحة المشاور**، ص١٦٥.

(١٣١) ظهير الدين مختار: تولّى مشيخة الحرم، فقام بها أحسن قيام، وله هيبة وقوة. السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج١، ص٢٠٨.

(١٣٢) ابن فرحون، **نصيحة المشاور**، ص٤٠.

(١٣٣) ابن فرحون، **نصيحة المشاور**، ص١٦٦.

(١٣٤) ابن فرحون، **نصيحة المشاور**، ص١٧٠.

(١٣٥) ابن فرحون، **نصيحة المشاور**، ص١٩٠.

(١٣٦) الدراهم النقرة: التي يغلب فيها نسبة الفضة على النحاس. القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ج٣، ص٤٣٩، ٤٤٠. يعبّر عن الدرهم النقرة بالكاملي نسبة إلى السلطان الأيوبي الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب. المديرس، **المدينة المنورة**، ص١١٩.

(١٣٧) **نصيحة المشاور**، ص٣٩.

(١٣٨) ابن فرحون، **نصيحة المشاور**، ص٤٠.

(١٣٩) ابن فرحون، **نصيحة المشاور**، ص٥٣.

(١٤٠) عبدالله بن حجاج أبو محمد، المشهور بمكشوف الرأس، من الشيوخ المعدودين في زمانهم من العلماء والحكماء المطّلعين على علوم الأولين، جمع من غرائب الكتب ونفائسها أحمالًا، وصرف في تحصيلها وتصحيحها أعمارًا وأموالًا. السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج٢، ص٣١٠.

(١٤١) **نصيحة المشاور**، ص١٤٦.

(١٤٢) **نصيحة المشاور**، ص١٩٥.

(١٤٣) **نصيحة المشاور**، ص٤٢.

(١٤٤) ابن فرحون، **نصيحة المشاور**، ص٩٦.

(١٤٥) هو أبو فارس عبدالعزيز بن زكنون التونسي. ابن فرحون، **نصيحة المشاور**، ص١٥٠.

(١٤٦) ابن فرحون، **نصيحة المشاور**، ص١٥١.

(١٤٧) **نصيحة المشاور**، ص٩٦.

(١٤٨) من الأولياء الكبار القدماء، أكثر إقامته بمكة، ثم انتقل إلى المدينة فأقام بها. ابن فرحون، **نصيحة المشاور**، ص٩٦.

(١٤٩) كان الغلاء في المدينة سنة ٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م شديدًا، وصل سعر غرارة القمح إلى ألف درهم، وغرارة الشعير إلى سبعمئة درهم. ابن الفرات، ناصر الدين بن عبدالرحيم (ت٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م)، **تاريخ ابن الفرات**، تحقيق: قسطنطين زريق، الجامعة الأمريكية، بيروت، (د.ط)، ١٩٣٩م، ج٨، ص٢١١، ٢١٢.

(١٥٠) من السنوات التي شهدت حالات الغلاء السنوات: ٧٣٤هـ/ ١٣٣٣م، ٧٤٤هـ/ ١٣٤٤م، ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م، ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م، ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م، ٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م. المقريزي، السلوك، ج٢، ص٣٧٤، ج٣، ص٤٦٠؛ الجزيري، عبدالقادر بن محمد (توفي نحو٩٧٧هـ/ ١٥٦٩م)، **الُدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة**، أعدّه للنشر: حمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ط٢، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ج١، ص٦٤٤، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٥٤.

(١٥١)كان لسلاطين الدولة المملوكية مساهمة فعّالة في تحسين الأوضاع الاقتصادية، من خلال الأوقاف على الحرمين الشريفين، وصرف ما يرد منها على أهل مكة والمدينة والقادمين إليهما، من ذلك وقف السلطان الملك الصالح عماد الدين إسماعيل سنة ٧٤٣هـ/ ١٣٤٣م، الذي أوقف ثلثي ناحية سندبيس من القليوبية بمصر على ستة عشر خادمًا لخدمة الضريح النبوي الشريف. المقريزي، السلوك، ج٢، ص٦٣٣، كما كانت هناك صدقات لسلاطين المماليك على أهل المدينة، فقد أمر السلطان المملوكي الظاهر بيبرس بأن يحمل إلى المدينة في كل سنة مئتي أردب من الغلة. ابن عبدالظاهر، محيي الدين أبو الفضل عبدالله بن رشيد (ت٦٩٢هـ/ ١٢٩٢م)، **الروض الزاهر في سيرة الملك**

الظـاهر، تحقيـق: عبـدالعزيز الخـويطر، الريـاض، نشـر: عبـدالعزيز الخـويطر، ط١، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م، ص٣٥٢- ٣٥٣.

(١٥٢) **نصيحة المشاور**، ص٤٠.

(١٥٣) اسمه دينار الشهابي المرشدي الشافعي عز الدين، خادم الحرم النبوي الشريف، كان لـه عمل فـي الخيـر إلـى أن تـوفي سـنة ٧٦١هـ/ ١٣٥٩م. ابـن حجرالعسـقلاني، **الـدرر الكامنة**، ج٢، ص٢٣٠.

(١٥٤) ابن فرحون، **نصيحة المشاور**، ص٥٣ - ٥٤.

(١٥٥) ابن فرحون، **نصيحة المشاور**، ص٥٥.

(١٥٦) ابن فرحون، **نصيحة المشاور**، ص١٥١.

(١٥٧) عبدالعزيز بن زكنون التونسي: كان فاضلًا في علم القراءات، متقنًا للتاريخ، مجتهدًا في العبادة. السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج٢، ص١٨٠.

(١٥٨) ابن فرحون، **نصيحة المشاور**، ص١٥١.

المصادر والمراجع

أ- المصادر:

الأنصاري، عبدالرحمن عبدالكريم (ت١١٩٥هـ/ ١٧٨٠م):

تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب، تحقيق: محمد المطوي، المكتبة العتيقة، تونس، ط١، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

ابن بطوطة، محمد بن عبدالله بن محمد اللواتي الطنجي (ت٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م):

تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: علي المنتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ.

الجزيري، عبدالقادر بن محمد (توفي نحو ٩٧٧هـ/ ١٥٦٩م):

الُدرر الفرائد المنظّمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظّمة، أعده للنشر: حمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ط٢، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

ابن حجر، الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م):

الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعين خان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م):

جمهرة أنساب العرب، إشراف: محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبدالله (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م):

معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ط٢، ١٩٩٥م.

ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (٣٢١هـ/ ٩٣٢م):

جمهرة اللغة، تحقيقِ: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

ابن زبالة، محمد بن الحسن (ت١٩٩هـ/ ٨١٤م):

أخبار المدينة، جمع وتوثيق ودراسة: صلاح عبدالعزيز بن سلامة، مركز بحوث ودراسات المدينة، ط١، ٢٠٠٣م.

السبكي، تاج الدين عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي (٢٨١هـ/ ٨٩٤م):

معيد النعم ومبيد النقم، دار الحداثة، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م.

السخاوي، شمس الدين (ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م):

التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، نشره: أسعد طرابزوني، (د.م.)، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

السمعاني، عبدالكريم بن محمد بن محمد بن منصور (ت٥٦٢هـ/ ١١٦٦م):

الأنساب، تحقيق: عبدالله البارودي، دار الجنان، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

السمهودي، نور الدين علي بن أحمد (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م):

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، تحقيق: خالد محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م.

ابن شاهين الظاهري، غرس الدين خليل (ت٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م):

زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تصحيح: بولس راويس، المطبعة الجمهورية، باريس، ١٨٩٤م.

ابن عبدالظاهر، محيي الدين أبو الفضل عبدالله بن رشيد (ت٦٩٢هـ/ ١٢٩٢م):

الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق: عبدالعزيز الخويطر، الرياض، نشر: عبدالعزيز الخويطر، ط١، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد (ت١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م):

شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤٠٦هـ.

الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد (ت٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م):

الذيل على كتاب سير أعلام النبلاء، المسمى (تعريف ذوي العلا بمن لم يذكره الذهبي من النبلا)، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٧١م.

ابن الفرات، ناصر الدين بن عبدالرحيم (ت٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م):

تاريخ ابن الفرات، تحقيق: قسطنطين زريق، الجامعة الأمريكية، بيروت، (د.ط)، ١٩٣٩م.

الفراهيدي، أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد (ت١٧٥هـ/ ٧٩١ م):

كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، (د.ط.).

ابن فرحون، إبراهيم بن نور الدين (ت٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م):

الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق: مأمون بن محيي الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

ابن فرحون، أبو محمد عبدالله (ت٧٦٩هـ/ ١٣٦٨م):

تاريخ المدينة المنورة المسمى (نصيحة المشاور وتعزية المجاور)، تحقيق: حسين شكري، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، (د.ت).

الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ/ ١٤١٤م):

المغانم المطابة في معالم طابة، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، المدينة، ط١، ١٤٢٣هـ.

معجم القاموس المحيط، رتبه ووثّقه: خليل مأمون شيحا، بيروت، دار المعرفة، ط٤، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم الدينوري (ت٢٧٦هـ/ ٨٩٩م):

غريب الحديث، تحقيق: عبدالله الجبوري، دار إحياء التراث، ط١، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م):

صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

ابن مخلوف، محمد (ت١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م):

شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، بيروت، لبنان، ١٣٤٩هـ.

المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت٨٥٤هـ/ ١٤٤١م):

السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ط٢، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن محمد (ت٧١١هـ/ ١٣١١م):

لسان العرب، طبعة مراجعة ومصححة بمعرفة نخبة من السادة الأساتذة المتخصصين، القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

ابن النجار، أبو عبدالله محمد بن محمود (ت٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م):

الدرة الثمينة في أخبار المدينة، تحقيق: حسين شكري، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، (د.ت).

النهروالي، قطب الدين محمد بن أحمد (ت٩٩٠هـ/ ١٥٨٥م):

الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

ب- المراجع:

الزركلي، خير الدين محمود:

الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٧٩م.

ابن دهيش، عبداللطيف بن عبدالله:

المكتبات في مكة المكرمة نشأتها وتطوّرها عبر العصور، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

عبد الغني، عارف أحمد:

تاريخ أمراء المدينة المنورة (١- ١٤١٧هـ)، دار كنان، دمشق، (د.ت).

محمد، علي جمعة:

المكاييل والموازين الشرعية، القدس للإعلان والنشر والتسويق، القاهرة، ط٢، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

محمد، محمود سالم:

أدب الصناع وأرباب الحرف حتى القرن العاشر الهجري، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

المديرس، عبدالرحمن:

المدينة المنورة في العصر المملوكي ٦٤٨ – ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠– ١٥١٧م: دراسة تاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

مسعود، جبران:

الرائد (معجم لغوي عصري)، دار العلم للملايين، بيروت، ط٧، ١٩٩٢م.

ج– الرسائل العلمية والدوريات:

الحميداوي، صباح خابط عزيز:

الأحوال الاجتماعية والاقتصادية لأعيان الأندلس في عهدي الإمارة والخلافة (١٣٨– ٤٢٢هـ)، كلية الآداب، جامعة بغداد، رسالة دكتوراة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

الزهراني، عائض محمد:

وظائف المسجد النبوي في العصر المملوكي، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، ع٥٦، ٢٠١٢م.

اليحيى، عماد صالح:

المكتبات في مكة والمدينة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي ٥٧٠ – ٩٢٣هـ/ ١١٧٤– ١٥١٧م: دراسة تاريخية، رسالة ماجستير، جامعة القصيم، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.